المرجعية الناطقة

الشهيد السعيد السيد محمد الصدر

أنموذجاً

بقلم

مُقتَدَى مُحَمَّد الصَّدْر

المرجعية الناطقة

السيِّد مقتدى الصدر (أعزّه الله)

العدد: ٢٠٠٠

المطبعة: دار الضياء للطباعة والتصميم

الطبعة: الأولى (١٤٣٩ - ٢٠١٨)

جميع الحقوق محفوظة

هيئة تراث السيد الشهيد الصدر قدس سره

النجف الأشرف

٠٧٧٠٦٠٦٢٧٧٨

alturaath_1943@yahoo.com

alturaath.43@gmail.com

دار الضياء للطباعة والتصميم

العراق - النجف الأشرف

٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣

aldhia_company@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إننا لو تتبعنا سيرة القادة في أي زمان ومكان بل والأنبياء والمعصومين والأولياء أيّاً كانوا بلا فرق بين حقبة وأخرى وتحت أي ظرف كان سنجد أن لكل منها أتباعاً محبين وأعداءاً مبغضين، على اختلاف درجاتهم في الحب والبغض وفي الاتّباع والعداء وكُلٌ بحسبه.

ومن المعلوم أيضاً أن هناك من لا يكون لهم نصيب من الحب والولاء ولا من البغض والعداء، ولعلَّ الكلمة التي تطلق على هؤلاء وكمصطلح حديث: (المحايدون) الذين لا يكون لهم موقف نصرة واتّباع بأي درجة من درجاتها ولا أي موقف من العداء والبغض وبأي درجة من درجاته أيضاً.

ولا يفرق ذلك بين القادة الدنيويين أو الأخرويين - إن جاز التعبير - أو من كان لهم سَنَد وشرعية دنيوية، كالطغاة الذين يتمكنون من بسط سيطرتهم من خلال القوة والبطش أو القادة الدنيويين الذين يتمكنون من فرض قوتهم

وسلطتهم بالأسس الدنيوية الحديثة كالديمقراطية أو الانقلابات أو ما شابه ذلك.

ويعم ذلك حتى القادة السماويين والإلهيين كما أسلفنا من ذي بدء كالأنبياء والمعصومين والأولياء على حدٍّ سواء، فكلهم ممن لهم أتباع يوالونهم ويطيعونهم ويطبقون قراراتهم وأوامرهم بل قد يذودون عنهم بالغالي والنفيس، وفي نفس الوقت فإن لهم من الأعداء الكثير ممن يعصون أوامرهم ويكيلون التُّهم عليهم بحجج أو من دونها بل قد يصل الأمر إلى محاولة تصفيتهم وقتلهم والنيل منهم بشتى الطرق أيّاً كانت ومن دون رادع.

فهنا ثلاثة أقسام:

الأول: الموالون: وهم من يتبعون ذلك القائد بإحسان.

الثاني: المعارضون: وهم غير مقتنعين بقيادته على أي حال ولا يتبعونه بأي صورة من الصور.

الثالث: المحايدون: وهم الذين اتخذوا مسلك الحياد فلا الموالاة ولا العداء.

ونحن حينما قلنا في القسم الأول: (يتبعون ذلك القائد ﴿**بإحسان**﴾، أردنا من كلمة (إحسان) الذين يتبعون ذلك القائد على ثقة واطمئنان فيكونون بيده كالميت بين يدي الغسال -كما يعبرون- ويطبقون كل توجهاته ونصائحه فضلاً عن قراراته وأوامره ويكونون له زيناً ولا يكونون عليه شيناً أيّاً كان ذلك القائد الدنيوي أو الأخروي كما قلنا سابقاً.

مضافاً إلى وجود بعض الشرائح أو الأفراد ممن هم محسوبون على الموالاة إلا أنهم لا يتبعون قائدهم بإحسان ولا يتوفر في اتّباعهم الصدق والمصداقية ولا يتبعونه عن ثقة واطمئنان بل مزعزعين أو إنهم يجهلون أنهم ممن لا يتبعونه بإحسان.

ولذلك فإننا ألمعنا سابقاً إلى وجود درجات كثيرة في القسمين الأوليين بالخصوص، وفي الأقسام الثلاثة أجمع بصورة عامة، فلا ينبغي إغفال ذلك على أي حال.

ثم إنه يمكن القول بأن (المحبة) و (العداء) لذلك القائد أيّاً كان أو النبي أو الرسول أو الإمام أو المرجع أو الرئيس أو المسؤول بلا فرق من هذه الناحية قد تستند إلى أسس

منطقية وحجج شرعية وعقلية وعرفية أو قد لا تستند لأي منها على الإطلاق.

فقد يتبع الفرد أو الجماعة قائداً لأسباب عقلائية، مثل:

أولاً: كونه معصوماً ومَثلاً أعلى بالأخلاق والتواضع.

ثانياً: كونه ذكياً وقائداً محنكاً من الناحية العسكرية أو الإدارية على سبيل المثال.

ثالثاً: أن يكون صاحب مواقف اجتماعية جيدة وموفقة بحيث يكسب قلوب الشعوب أيّاً كانت.

رابعاً: أن يكون ذلك القائد صاحب علم وافر بحيث يفرض محبته على الآخرين بذلك العلم.

وغيرها من الأسباب المنطقية والمقبولة شرعاً وعرفاً.

إلا أنه في نفس الوقت يوجد من الأفراد أو المجموعات أو الشعوب من يتبعون ذلك القائد عن عمى - إن جاز التعبير- أو لما فيه من طغيان كبير أو لما فيهم من جهل

وتخلف، فقد قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[1].

بل وهناك أسباب أخر كثيرة، غير القوة والجهل قد تؤدي إلى اتباع ذلك القائد بغير مبرر عقلي أو اجتماعي أو شرعي، كالشهرة والنفوذ والمال وما إلى ذلك من مغريات يقع فيها الفرد أو المجتمعات بحيث تكون نمطاً مقبولاً عندهم ومن يخالفهم فإنه يكون مستغرباً بل ومنبوذاً بعض الشيء.

ومن هنا فلا ينبغي أن نتبع أي قائد بدون هدى ولا كتاب منير أو قل من دون حجة أو دليل واضح أو بعبارة أخرى من دون قراءة صحيحة لذلك القائد أو رؤية جليَّة تجعل من اتباعنا له اتباعاً صحيحاً ومقبولاً من جميع النواحي، وخصوصاً حين اختيارنا له من ذي بدء.

فإن شروط الاختيار قد تختلف بعض الشيء عن الاستمرار معه والثبات على طاعته وحبه والتعلُّق به، بطبيعة الحال فإن هذه الشروط قد تختلف بين فكر وآخر وبين قائد وآخر وبين مكان وآخر وبين زمان وآخر وبين ظرف وآخر

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

وبين دين وآخر وبين عقيدة وأخرى وما إلى غير ذلك من موازين للاختيار وللاستمرار أيضاً.

فأسس الاختيار عند المسلمين قد تختلف عن الأسس عند غيرهم من الأديان، وبل وأسس المسلمين قد تختلف فيما بينهم مع اختلاف الزمان والمكان اختلافاً نسبياً، مع بقاء جوهرها وبقاء بعض الأسس على حالها كما لا يخفى.

فبعض المجتمعات تميل إلى اختيار القائد العسكري الشجاع وبعضها الآخر قد تختار الأعلم على سبيل المثال وبعضها الآخر قد يختار المنفتح والمعتدل وما إلى ذلك من اختيارات تتناسب وتتلائم مع ظرفهم ومكانهم ومتطلباتهم كُلٌّ بحسبه وحاجته.

وعموماً فلا ينبغي جعل تلك الموازين وفق الشهوات والميولات الشخصية والفئوية ولا وفق أسس مبتذلة سواء في محبة ذلك القائد أو معاداته أو حتى سلوك مسلك الحياد بخصوص ذلك القائد وقراراته وأوامره، فكل تلك الأمور لا تكون إلا وفق شروط عقلية واجتماعية وعرفية أو شرعية

مقبولة من دون نزوة أو أسباب شخصية تضرب المصالح العامة عرض الجدار كما يعبرون.

ويمكنني أن أذكر بعض الشروط المتوافق عليها بصورة عامة لا تخص مذهباً دون مذهب آخر أو دين دون دين آخر أو فكر دون فكر آخر، بل هي قواعد عامة يمكن أن يستفيد منها الجميع في اختيار الموالاة لأي قائد أو معارضته أو اتخاذ الحياد.

ومن تلك الشروط:

أولاً: أن لا يكون أنانياً في قيادته ومسؤوليته، بل يقدِّم المصالح العامة على المصالح الشخصية.

ثانياً: أن يفنى في خدمة المظلومين والفقراء ويقدِّم لهم ما استطاع وحسب المكنة.

ثالثاً: أن ينذر نفسه ووقته لخدمة الصالح العام وأن لا يألُ جُهداً في الاستمرار في واجباته.

رابعاً: صاحب عزم وإصرار على تحقيق هدفه وقضيته أيّاً كانت.

خامساً: أن يكون صاحب علم وافر وحكمة متعالية يستطيع معها فهم الأمور بدقة ووضوح.

سادساً: أن يمتلك من الأخلاق والأمور المعنوية ما يؤهله إلى أن يفهم الأمور بحقائقها الظاهرية والباطنية.

سابعاً: أن يكون قائلاً للحق ولو على نفسه وأتباعه ومحبيه.

ثامناً: أن يتعامل مع الجميع بأبوة ونَفَس قيادي بحيث لا يفرق بين أحد وآخر، وقد يسمى بمبدأ (العدالة) العامة الاجتماعي منها والإداري وغيرها مطلقاً.

تاسعاً: أن يتعامل مع أعداءه بإنصاف وحكمة بحيث لا يخرج عن المتعارف، ولا يتعامل معهم بقسوة مفرطة وتدنّي أخلاقي كبير.

عاشراً: أن يتحلى بقدر عال من الأخلاق مع نفسه ومع الآخرين، فلا غضب شديد ولا تهاون كبير.

وغيرها من الأمور التي قد تعتبر توافقية عند الجميع وإن كانوا يختلفون بصياغتها وكتابتها بعض الشيء. مع وجود شروط ثانوية أخرى لا داعٍ لذكرها لأنها قد لا تكون توافقية

من جهة وقد تكون مختلفة بحسب الظروف والمعطيات والأماكن مما لا يمكن احصائه على عجالة.

وأما لو تركنا هذه الشروط ولم نراعِها فقد نكون مصداقاً للآية الشريفة القائلة: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾[1]، وهذه الآية ومثيلاتها إنما جاءت لاستنكار من يهتدي أو يقتدي بقائد من دون سبب منطقي أو شرعي فهو قبيح لا ينبغي أن يتخذه على أي حال.

ولذلك فنحن لم نَكُ ممن اتبع الرسول وأهل بيته عن عمى أو تقليد أو شهوة أو نزوة بل اتبعناهم بإحسان، ولو أردت التخصيص بعض الشيء، أقول: إننا وإياكم أيها (الصدريون) لم نتبع مرجعنا عن عمى بل عن هدى، فهو ذلك القائد الذي توفرت فيه الشروط أعلاه وتحققنا منها ودققنا فيها وأمعنّا النظر ووجدناه قد طبقها بحذافيرها بل زاد عليها وحققها لنا خير تحقيق وتدقيق.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

وهذا ما يزيدنا شرفاً وعزّة في الدنيا والآخرة على حدٍّ سواء... فليس اتّباع الصدر بدون حجّة أمراً صحيحاً حتى أنني وإن كنت مقلداً للسيد الوالد قدس سره منذ الصغر إلا أنني أمتلك من الأدلة والحجج الشخصية الباطنية والظاهرية على ذلك ولم أقلده لمجرد العاطفة أو الأبوة، وقد ناقشت الكثير من الفقهاء وطلبة العلم في حينها وحاججتهم وثبت لي أعلميته وصحّة تقليده بما لا يشوبه الشك أو الريب ولله الحمد.

نعم فهو قدس سره ذلك القائد الذي توفرت فيه الشروط العامة التي يستطيع الفرد معها أو المجتمع أن يكون موالياً له ومحباً ومتبعاً له في التقليد والأوامر والقرارات أيّاً كانت بكل ثقة واطمئنان، كما ثبت لي ولكم بالأدلة والقرائن الكافية والتي توجب اليقين فضلاً عمّا دونها من القرائن والأدلة.

وهو أيضاً ذلك القائد الذي حصل بفترة زمنية قصيرة على الكثير من المحبين والأتباع داخل العراق خصوصاً وخارجه بعض الشيء على الرغم من وجود المعارضين له من ناحية والمحايدين من ناحية أخرى حاله حال كل قائد أو ولي فضلاً عن الأنبياء والرسل والمعصومين.

نعم، فهناك شريحة كبيرة في المجتمع قد آلت على نفسها معارضة مرجعية السيد الوالد قدس سره وخصوصاً أن مرجعيته قد كانت في زمن (الهدام) عليه اللعنة والعذاب وفي ظرف لا يشعر به إلا من عاشه من العراقيين الشرفاء الذين كانوا يعانون الأمرَّين من ظلم الهدام ودكتاتوريته.

وهنا يمكننا تطبيق الأقسام الثلاثة أعلاه على مرجعية السيد الوالد قدس سره أيضاً، فإن هناك من وإلى مرجعيته وهناك من كان معارضاً لها وآخر كان محايداً لم يوالي ولم يعارض على الرغم أن ما ورد بخصوص المحايد: أن المحايد وإن لم ينصر الباطل إلا أنه خذل الحق...

ومع هذه المقولة يمكننا القول أن المجتمع انقسم بخصوص مرجعية السيد الوالد قدس سره إلى قسمين: موالٍ ومعارض، وكلامي أولاً: للمعارضين له، وأستطيع تقسيمهم إلى عدَّة تقسيمات:

التقسيم الأول:

أولاً: من عارض عن جهل.

ثانياً: من عارض عن حقد.

التقسيم الثاني:

أولاً: المعارضون له في العراق.

ثانياً: المعارضون له خارج العراق.

التقسيم الثالث:

أولاً: المعارضون له في حياته وفي زمن الهدام.

ثانياً: المعارضون له بعد استشهاده في زمن الهدام.

ثالثاً: المعارضون له بعد استشهاده وبعد سقوط الهدام.

فإن من وقف بالضِدِّ من مرجعية السيد الوالد قدس سره لم يَكُ يتصف بالعلمانية مثلاً أو بالإلحاد أو ممن هم خارجون عن الإسلام، فإن مواقف السيد الوالد الوطنية والأخلاقية كانت تدفعهم لعدم معاداته ومعارضته بل لعل الكثير منهم تعاطف مع مرجعيته بعض الشيء لما كان للسيد الوالد من مواقف إيجابية مع شرائح المجتمع آنذاك والأقليات وما شابه ذلك.

بل وإنه قدس سره وإن ناقش بعض الأفكار الخارجة عن الإسلام، إلا أنه ناقشها بصورة علمية ومنطقية مما لم يتسبب بنفور الطرف الآخر، بل وقد أسلم على يديه بعض المسيحين، وقد تفاعل مع مناقشته الكثير من الإلحاديين

الذين ناقشهم في بعض كتبه كاليوم الموعود وغيره، فضلاً عن الاتجاهات الإسلامية الأخرى الذين تفاعل معهم وتفاعلوا معه وأمرنا بالصلاة معهم وصلُّوا معنا وتواصلوا معنا ولله الحمد.

إلا أن أغلب من وقف بالضِدِّ من السيد الوالد قدس سره في داخل العراق هم أتباع السلطة والدكتاتور (صدام) والذين كانوا منتفعين من تلك السلطة الغاشمة والظالمة، والذين وجدوا من مرجعية السيد الوالد قدس سره تقويضاً للحكومة الصدامية آنذاك.

ولا أعني هنا الموظفين والبعثيين على وجه الخصوص، فإن هناك الكثير من الشرائح المجتمعية التي كانت تقتات على السياسات الصدامية ومنتفعة كل النفع من تلك السياسات التي يتبعها الهدام والتي تسري في مجتمعنا العراقي سريان النار في الهشيم.

بل إن الكثير ممن أعلنوا المعارضة للنظام الصدامي آنذاك ممن هم خارج البلد أو ممن هربوا من الهدام خوفاً سارعوا إلى كيل التهم ضِدَّ السيد الوالد قدس سره بل منهم من

يدَّعي تتلمذه على يد الشهيد الأول قدس سره ولم تقتصر تهمته على أن مرجعيته ضمن المخطط الصدامي بل زادت عن ذلك، فألصقوا به تهماً أخرى كـ(الساذج) وما إلى غير ذلك مما سنتطرق إليه لاحقاً إذا شاء الله تعالى.

إن مثل هؤلاء ممن أعلنوا العداء له سواء ممن أعلن الموالاة للهدام أو ممن أعلن المعارضة له، لم يَكُ عدائهم له قدس سره عن جهل أكيداً وإنما عن علم وعمد وتَرصُّد لما خافوا منه على نقصان رصيدهم وإنقاص سلطتهم عند الشعب العراقي الذي كان يعاني آنذاك من الظلم الصدامي وكانوا هم يرتعون بنعمة الأمن والأمان والأموال في الخارج سواء في ذلك مَنْ اتخذوا إيران مسكناً لهم أو غيرها مثل لندن أو غيرها من الدول الغربية والعربية.

ومما يزيدنا يقيناً بأن معارضتهم لمرجعية السيد الوالد قدس سره لم تَكُ عن جهل بل عن حقد، هو كونهم من زملائه ومن طلاب السيد الشهيد الأول قدس سره وكانوا يعرفونه معرفة عن قرب ولا يعلمون منه إلا الأخلاق والطيبة والصدق والشجاعة في حفظ الدين والمذهب وهم أنفسهم

متيقنون من علمه من خلال مؤلفاته وكتبه وبحوثه ودروسه ومدح الشهيد الأول قدس سره له.

أما من لم يَكُ منتمياً لهذه المدرسة من الموظفين والبعثيين العلنيين - إن جاز التعبير - فقد قلنا وأسلفنا أسباب معارضتهم وهي لا تمت إلى الجهل أيضاً في شيء، وأما من يمكن القول بأنهم قد عارضوا مرجعيته قدس سره عن جهل فهم بعض الطبقات من عوام الناس ممن لا يفقهون إلا السعي وراء الرزق ولا دخل لهم في الدين والحوزة شيئاً.

ومن هنا نفهم أن المعارضين لمرجعيته قدس سره في العراق على صنفين: معارض عن جهل لكونه من عوام الناس، ومعارض عن حقد لأنه مستفيد ومنتفع من النظام الصدامي البغيض، وأما المعارضون له من خارج العراق من العراقيين في منفاهم فهم أغلب الظن يعارضوه عن حقد وترصُّد.

أما الذين اتبعوهم وهم في الخارج من العراقيين أو غيرهم ممن صَدَّق كلام (الحاقدين) فقد تكون معارضتهم لمرجعيته قدس سره عن جهل وإن كانوا مقصرين في تَتَبُّع الأمر

وخصوصاً بعد استشهاده أو بعد سقوط الهدام عليه اللعنة والعذاب.

ولذا فإنني أقسّم المعارضين إلى من هم معارضون في حياته وبعد استشهاده أو بعد (السقوط)، فإن الثاني لا عذر له حسب الظاهر، فإن استشهاده ومقتله على يد الزمرة الصدامية أكبر دليل على بطلان ادعائهم بأن مرجعيته قُدِّسَ سِرُّه تابعة للنظام الصدامي.

فإن قالوا: إن مقتله أو استشهاده لم يَكُ على يد النظام الصدامي، وأكبر دليل على ذلك ما بثه التلفزيون العراقي آنذاك من اعترافات من بعض المشايخ كانت تنص على أنهم من قتل الشيخين والسيد الصدر من دون أمر من السلطة.

قلنا: يجاب ذلك بأكثر من جواب:

الجواب الأول: قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ**﴾[1].

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

فإن تحققت شروط الآية فإنه لا يجب عليكم تصديق ما تبثه قناة الفاسق (صدام) أيّاً كان ما تبثه، فقد بثت عليكم الكثير من الأقاويل ولم نصدقها.

وعنيت بتحقق شروط الآية ما يلي:

أولاً: كون المعارض بحقد لمرجعية السيد الوالد مؤمناً، فالآية تقول وتخاطب المؤمنين بقولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

ثانياً: أن تعترفوا بكون (صدام) فاسقاً وأن كل ما يصدر منه وعنه وفي قنواته فسقاً وكذباً، وإن لم تعترفوا بذلك فأنتم موالون له ومصدقون له بل ومكذبين للمؤمنين لطلاب السيد الشهيد الأول ولمحبي آل الصدر الكرام.

ثالثاً: أن يصدر منكم الندم، ولا أظن فالمعارض بدون حجّة ولا دليل وإنما لمجرد الحقد فإنه لا يمكن أن يندم على ذلك ولو بعد حين.

الجواب الثاني: إن تلك الاعترافات التي بُثَّت قد جاءت من أناس ألقي القبض عليهم من الزمرة الصدامية، وأنتم تعلمون أن تلك السجون وإن تلك الاعترافات لا تكون إلا

تحت وطأة التعذيب... وإلا لماذا هربتم من النظام الصدامي إذا لم يَكُ في سجنه تعذيبٌ وظلمٌ؟..

وبطبيعة الحال فإن فتوى المشهور تقول أن كل ما يصدر تحت التعذيب لا يكون ذا قيمة ولا مصداقية.

الجواب الثالث: إن من ضمن تلك الاعترافات هو كون من اعترف قد أخذ أوامره (من خلف الحدود) وبالخصوص الحدود الشرقية للعراق؟؟... هل نصدق ذلك؟.. هل صدقتم ذلك؟؟... نحن نحاول عدم التصديق فكذلك أنتم حاولوا أن لا تصدقوا كل الاعترافات وجميع الأخبار...

فإن قيل: نحن لم نستند في ادعائنا -أن قاتل السيد الصدر لم يَكُ النظام- إلى ما عرض وبث في القنوات الفضائية الصدامية، فما قلت من أن ما تبثه هي مجرد أكاذيب أمر صحيح، بل استندنا إلى معلومات استخباراتية دقيقة.

قلنا: ذلك أيضاً يجاب بأكثر من جواب:

الأول: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين... وإلا فكفوا ألسنتكم وأقلامكم عنّا.

الثاني: إن من أرسلتموه مُتوهِّم وغير قادر على توخّي الحقيقة وإثباتها، فإنني قد لمست منكم ومن نقاشاتكم النظر بعين واحدة، وهي: أما عين البغض فتعادون الشخص أو الموضوع أيّاً كان، وأما عين الرضا فستوالون ذلك الشخص أو الموضوع أيّاً كان ولن تحيدوا عن ذلك على الرغم من الحجج والأدلة الدامغة ضِدَّ من بغضتم أو أحببتم.

فكذلك من ترسلونه من العيون، فإنه على ما انتهجتموه بل ولا يستطيع أن يقول عكس ما قلتموه فإنكم لن تصدقوه ولو صدقتموه لأسكتُّموه يقيناً...

ولو قالوا: نعم، إن القاتل هو النظام الصدامي إلا أن القتل لا يدل على أن مرجعيته لم تَكُ بالتنسيق معه، لكن حينما أحس النظام بالخطر من مرجعيته سارع إلى اغتياله وتصفيته.

قلنا: إن ذلك يجاب بعدَّة أجوبة، منها:

أولاً: إن هذا ادعاء يحتاج إلى دليل من قبلكم، ولا دليل.

ثانياً: إننا وإياكم متفقون على أن مرجعية الصدر في أواخر أيامها وما بعد استشهاده - إن جاز التعبير - لم تَكُ تابعة للنظام الصدامي، لما قلتم إنه أحس من مرجعيته قُدِّسَ سِرُّهُ

بالخطر، فإنها إن كانت تعمل وفق أجندات صدامية فكيف يحس منها الخطر؟

ومن ذلك نستطيع أن نقول: إن الاستصحاب القهقري يدل على أن مرجعيته من ذي بدء لم تَكُ تابعة للنظام الصدامي، فإذا لم تَكُ في سنة ١٩٩٩ كذلك فإنه في الأعوام التي قبلها وحسب الاستصحاب القهقري لم تَكُ كذلك.

ثالثاً: إن ادعائكم هذا يقتضي كون الإمام الرضا (عباسياً) مأمونياً... وإن قلتم إن هذا لا ينطبق على الإمام الرضا لأنه إمام، قلنا: نحن أتباعه وهو أعني السيد الوالد قدس سره نائبه وعليه يجب أن يتأسى به... وحلال محمد وآله حلال إلى يوم القيامة.

وبمعنى آخر: فإن الإشكال الذي تطرحونه ضِدَّ السيد الوالد قدس سره أما أن يسري على الإمام الرضا وحاشاه، وأما أن ما فعله الإمام الرضا عليه السلام حلال، فهو حلال على السيد الوالد أيضاً...

فان قيل: إن الإمام الرضا أعرف بالمصالح والمفاسد، ويحق له مهادنة (الخلافة العباسية) وأن يتخذها غطاءاً لنشر

الإسلام والمذهب الحق، وما يحق للإمام لا يحق لمحمد الصدر.

قلنا: أولاً: إنه يعتبر نفسه حاكماً شرعياً ونائباً للمعصوم سلام الله عليه ووكيلاً له، ويحق للوكيل ما يحق للأصيل إلا ما خرج بدليل، ولا دليل على خروج ما نحن بصدده.

ثانياً: إن من يحدد المصالح والمفاسد هو من في داخل العراق ومن هو مطلع على كبار الأمور وصغارها وعلى حاجات المجتمع ومصالحه ومفاسده ولا يحق لمن هو في خارج البلد أن يحدد تلك المصلحة أو تلك المفسدة.

والسيد الوالد قدس سره هو من كان متصدياً لخدمة المجتمع وكان منهم وفيهم ومطلع على المصالح والمفاسد وأنتم بعيدون مكاناً وزماناً ولم تكونوا مطلعين فلا تسارعوا إلى تحديد المصالح والمفاسد ما لم تعايشوا المجتمع رجاءاً.

ثم إن هناك أدلة وقرائن واضحة وجلية على أن مرجعيته كانت بعيدة كل البعد عن النظام الصدامي:

القرينة الأولى: اعتقال الكثير من وكلائه وأتباعه ومحبيه ومقلديه، وعدم الإفراج عنهم حتى بعد استشهاده فضلاً عن الإفراج عنهم في حياته.

فان قيل: إن اعتقال مثل هؤلاء هو بمثابة تغطية من النظام على التنسيق بينهم وبين مرجعية السيد محمد الصدر.

قلنا: أولاً: ما الثمرة التي يتوخاها النظام من التنسيق السري مع مرجعية السيد الصدر؟..

بمعنى أنها أما أن تكون علنية ليستفيد النظام منها أو لا يكون هناك أي تنسيق.

ثانياً: إنني أكدت على استمرار اعتقالهم حتى بعد استشهاده، وهي قرينة واضحة على بطلان تغطية النظام واخفاء التنسيق، فلو كان لمجرد الإخفاء لما طال اعتقالهم ولسارعوا إلى الإفراج عنهم.

ثالثاً: إنه وصل الأمر إلى إعدام البعض منهم، فهل الإعدام أيضاً تغطية؟؟ وإخفاء للعلاقة والتنسيق؟؟؟

فإن قلت: نعم، حتى الإعدام يكون تغطية وتنسيقاً.

فنقول: لعل ما حدث من اعتقال وإعدام بعض منتسبيكم أيضا تنسيقاً بينكم وبين النظام الصدامي البغيض... وإن عدتم عدنا.

القرينــة الثانيــة: اعتقـال بعـض مقربيـه، كالسـيد ريـاض النوري (رحمه الله) والشيخ أسعد الناصري وغيرهم.

القرينة الثالثة: سارعت الحكومة إلى غلق (دور القضـاء) أو ما يسمى بالمحاكم الشرعية التي أسسها السـيد الوالـد فـي زمن الهدام.

فلو كان هناك تنسيق بين مرجعية السيد الوالد وبين النظام الصدامي لما أسـس السـيد الوالـد تلـك المحـاكم أصـلاً بـل اعتمد المحاكم الحكومية الصدامية كمحـاكم شـرعية ولمـا سـارعت الحكومـة آنـذاك إلـى اغلاقهـا ومنعهـا واعتقـال منتسبيها.

القرينة الرابعة: منـع بعـض صـلوات الجمعـة فـي بعـض المحافظات، وغلق المساجد أمامهم.

فإن سارعوا إلى القول: بأن ذلك ضـمن التنسـيق والتغطيـة التي ادعيناها سابقاً، وأكبر قرينة على ذلـك هـو عـدم مـنعهم لصلاة الجمعة في مسجد الكوفة.

قلنا: أولاً: إنهم حاولوا منعها مراراً وأنتم تجهلون، حتى أن أحد الجلاوزة هدد بقطع رقبة السيد الوالد وجهاً لوجه إلا أنه لم يتنازل.

ثانياً: إنهم حاولوا إجباره على ذكر (صدام حسين) في جمعته وباقي الجمع، فقال بمنع أي صلاة يذكر فيها اسم الهدام، وهو لم يذكره على الإطلاق إلا في مورد واحد وهو منع السير إلى كربلاء ومن باب المحاججة لعله يتعظ ولم يتعظ.

ثالثاً: قاموا ببث ونشر الأفراد (الأمن) ومضايقة المصلين، وقد تصادمت معهم شخصياً ومنعتهم من المضايقات في أكثر من جمعة وقد تعرض (السيد حسين كلانتر إلى الدهس بإحدى سياراتهم في إحدى الجُمع).

رابعاً: إنهم لم يستطيعوا منعها خوفاً من ردّة الفعل الشعبية والعفوية.. وهم كانوا متخوفين من ذلك فلم يبادروا لمنعها.

خامساً: إنهم منعوها فعلاً، باغتياله وتصفيته.

القرينة الخامسة: حاولوا منع صلاة الجماعة في الصحن الحيدري، وسارعوا ذات يوم وبوجود مدير أمن النجف

الأشرف إلى إقفال باب الغرفة التي كنّا نضع فيها (السجاد) إلا أن المصلين قاموا بكسرها، وكان مدير الأمن يصرخ: اخبروهم بأنني مدير الأمن... ظناً منهم أنهم سيخافون ولا يقدمون على كسر الباب إن عرفوا بأنه مدير الأمن... وهم كانوا يعلمون به علم اليقين جزاهم الله خير الجزاء.

القرينة السادسة: حرَّم وضع الأموال في الأضرحة، فلو كان يريد التنسيق أو دعم النظام لما منع عنهم أكبر الموارد المالية في العراق آنذاك بل وحالياً. وقد استاءت الحكومة من فتوى المنع استياءاً كبيراً.

القرينة السابعة: دعوته دام ظله إلى توبة الموظفين، فإن كان النظام عادلاً برأيه ويجوز التنسيق معه ومجاراته، فأي توبة للموظفين وما جرمهم يا ترى؟؟..

بل إننا فهمنا وكل عاقل فهم من هذه الدعوة هو توبتهم من موالاة الهدام عليه اللعنة والعذاب.

القرينة الثامنة: فتواه دام ظله بحرمة حلق اللحية، بل إن حالق اللحية فاسق: وهذا يعني كون كل منتسبي الحكومة والبعث فسقة لأنهم حالقوا اللحى.

القرينة التاسعة: كان الكثير من الجلاوزة البعثيين يحاولون الدخول إلى المدارس الدينية الحوزوية من جهة وإلى تسجيل أسماء الطلبة الساكنين بها فيمنعهم من ذلك منعاً باتاً بل وصل الأمر إلى طردهم من (البراني) في أكثر من مورد واحد، ومنع المتولين من التعاون معهم، فأي تنسيق هذا الذي بين مرجعيته قدس سره وبين النظام؟؟

القرينة العاشرة: محاولة غلق (مسجد الرأس الشريف) التابع للحرم العلوي الشريف، الذي كان مقراً لدروس السيد الوالد قدس سره ومضايقة بعض الحضور أحياناً.

القرينة الحادية عشر: قوله وندائه قدس سره: كلا كلا للباطل، بعد نداءاته كلا كلا أمريكا وكلا كلا إسرائيل، وكلنا فهم من ذلك: (كلا كلا يا صدام).

القرينة الثانية عشر: وصول بعض التقارير بأن الحكومة تريد وضع قنبلة في مسجد الكوفة، فسارع السيد الوالد إلى كشف المخطط في إحدى خطب الجمعة في مسجد الكوفة وبنفسه، فلم يخرج أي مصلي من المسجد خوفاً أو لأي أمر آخر...

فإن كان هناك تنسيق بين مرجعيته قدس سره وبين النظام، فلِمَ يضع النظام قنبلة ولماذا يسارع السيد الوالد قدس سره إلى كشف المخطط؟؟؟..

القرينة الثالثة عشر: أقام السيد الوالد معرضاً فيه رسوم ونصب تخلد صلاة الجمعة فسارع الجلاوزة إلى مضايقته ومنعه من الانتشار في باقي المحافظات.

القرينة الرابعة عشر: إنها سارعت إلى منع المكاتب من بيع مؤلفات السيد الوالد قدس سره بل وإلى معاقبة كل من يبيعها ويروج لها، فصارت تُباع في السر فقط.

القرينة الخامسة عشر: مطالبته قدس سره بتوبة السَّدَنَة، أي العاملين في المراقد المقدَّسة المعينين من الحكومة الصدامية نفسها.

القرينة السادسة عشر: وأختمها بهذه النقطة على الرغم من وجود غيرها... اغتياله، فهي قرينة واضحة على عدم التنسيق بين مرجعيته قدس سره وبين النظام ولذلك وقع الكثير من العراقيين بالحرج أو الندم وسارعوا إلى تقليده قدس سره بعد اغتياله لما كانت من حجّة دامغة على نزاهته وأحقيته.

وأنا على يقين إن كل معارض حاقد إذا ما قرأ هذه القرائن سوف يسارع إلى القول: إن كل ذلك بعد مرجعيته، ونحن إنما نقصد إنه كان يخاف النظام ويهادنه قبل ذلك، أي قبل مرجعيته وفي سجنه وما إلى ذلك من حقبة السبعينيات تحديداً.

يجاب بعدة أجوبة:

أولاً: لماذا يكون الخوف عليكم حلالاً وعليه حراماً، فسارعتم إلى الهرب ولم يوفق إلى الخروج من العراق، بل هو قدس سره يقول: إن الله سبحانه وتعالى أراد بقائي، ولذلك فإن الحكومة الصدامية سارعت في بداية الثمانينيات إلى تسفيره إلى خارج العراق ثم عدلت، مضافاً إلى أن هناك من حاول إخراجه إلى خارج العراق بعد الانتفاضة الشعبانية فلم يتحقق ذلك أيضاً بفضل الله ومِنَّتِه.

فإن كنتم قد خفتم من النظام وظلمه فلم تحرّمون عليه الخوف منه وخصوصاً أنه حاول الخروج ولم يستطع أو أراد الله بقائه لنصرة العراق وشعبه بل الحق مطلقاً.

ثانياً: هو قد أجاب بما فحواه: إنني اتخذت طريق التقية لأحافظ على نفسي وأعدها ليوم كتبه الله علي.. فهو القائل:

لم أتصَدَّ للمرجعية بقرار شخصي بل بقرار إلهي.

ثالثاً: إن منحى (السكوت) أو التقية، مضافاً إلى كونه لفائدة مستقبلية فإن هناك التفاتة أخرى: وهو كونه لم يَكُ مرجعاً ومتصدياً للعمل وخدمة الناس علناً.

رابعاً: إن وجود مرجعية ناطقة، كان آنذاك يعترف بها وبأحقيتها بل وحتى بعده وإلى حين استشهاده قدس سره كان مؤيداً لها، جعله يتخذ التقية والسكوت منحى - إن صح التعبير -.

خامساً: اتخاذه مسلك السلوك الباطني والعرفاني، والذي كان السيد الوالد يعتبره - أي الباطن والعرفان - من أسس المرجع، فيصعب على من لم يسلك هذا المسلك أن يكون مرجعاً بالمعنى الحقيقي أو المعنوي.. جعل منه منزوياً متفرداً بالمعشوق الأوحد: الله سبحانه وتعالى.

سادساً: ولعله يعود إلى النقطة رابعاً: وجود الأعلم في حينها وهو السيد الشهيد الأول قدس سره منعه من التصدي العلني والنطق بما يريد.

سابعاً: ولعله يعتبر جواباً نقضياً، من حيث كونهم لم

يـدَّعوا مجـرد سـكوته قبـل مرجعيتـه وبالتحديـد فـي فتـرة (السبعينيات)، بل إن هناك إشكالات أكثر وتَنُمُّ عـن (حقـد) لم تَكُ في زمن مرجعيته قدس سره فحسب ولـم تَـكُ فـي حياتـه فحسب بل حتى بعد استشهاده، وما صدر مـن بعـض مـدعي الانتماء إلى هذه المدرسة حـديثاً بـل وسـابقاً لأوضـح دليـل على مدعانا.

وهنا أنقل لكم كلاماً في كتيب صدر بإشراف أحـد قـادة المعارضـة فـي عـام ١٩٩٨ ميلاديـة تحـت عنـوان: (مرجعيـة السيد محمد الصدر) بل إن أول سطر فـي الكتـاب مـا نصّـه: (**مرجعية السيد محمد الصدر التي بدأت فعاليتهـا بعـد إشارة واضحة من النظام بالموافقة علـى هـذا النشـاط وتزعُّم الحوزة العلمية رسـمياً وبإسـناد شـبه واضـح لمواضيع طرحتها هـذه المرجعيـة مثـل إقامـة صـلاة الجمعة....**).

ولعل القرائن والأدلة الذي استند عليهـا المؤلـف والـذي يمثل أفكاراً متجذرة عند أمثاله وأسياده، هي:

أولاً: بقاء السيد الوالد داخل العراق.

ثانياً: بقاءه حياً، وخصوصاً في زمن تأليف الكتاب أعلاه.

ثالثاً: وهو منصوص في كتابه: (صلاة الجمعة).

رابعاً: نفس مرجعيته.

كل هذا يعتبره المؤلف: (إشارة واضحة من النظام بالموافقة) على نشاط السيد الوالد قدس سره، ولو أردت تحليل هذا الفهم المتدني، فأقول: نعم، من حقه أن يقول ذلك، فالجبان لا يعي ولا يفهم ما يقوم به الشجاع، فلقد صدر تصريح من أحد علماء النجف الأشرف (رحمه الله) في زمن السيد الوالد قدس سره بما معناه: لو وقفت دقيقة واحدة على منبر السيد لَمُتُّ من فوري... أقول: المقصود من قوله رحمه الله: لَمُتُّ من شدّة الخوف.

ولذلك فإن بعضهم ومن شدّة رعبهم هربوا في ليلة ظلماء من العراق مخالفين لنهج مرجعهم واستاذهم الشهيد الأول وخصوصاً من هم دون مرتبة الاجتهاد... أما المجتهدون منهم فلست أعنيهم على الإطلاق فهم أعرف بالمصالح والمفاسد.

ثم يردف المؤلف قائلاً: إن هناك **توافقاً** بين حكومة الطاغوت والمرجع على إعطاء أو **إطلاق الحريات (الدينية)** لدين بلا سياسة....

أقول: قد توهم المؤلف أن الحكومة أعطت الإذن للسيد الوالد بإعلان مرجعيته بشرط عدم التدخل بالسياسة.

أجيب:

أولاً: ألم يُشترط ذلك الشرط على الإمام الرضا عليه السلام وأقرَّهُ؟... بل هو من اشترطه على الخلافة العباسية؟

ثانياً: إن ما ذكرناه من قرائن فيه الكثير من التدخل بالسياسة كتحريم ومنع وضع الأموال بالأضرحة وتوبة السَّدَنَة والموظفين والأمر بالسير إلى كربلاء المقدَّسة في أكثر من مورد.

ثالثاً: إن الغالب على مرجعيات النجف عموماً هو تصديها إلى هداية الناس من خلال التوعية الدينية والثقافة العامة ولا تَزُجُّ بنفسها بالمباشر بالأمور السياسية، وهذا هو المعمول به حتى في قم المقدَّسة، فإن لهم كامل الحرية بالفتوى والدرس من دون التدخل بشؤون الدولة والولاية.

رابعــاً: مطالبتـه مـن خـلال خطبـة الجمعـة ومـن مسـجد الكوفـة المعظـم بـالإفراج عـن المعتقلـين لهـو تـدخل علنـي بالسياسة آنذاك.

خامساً: إن المجتمع لم يَكُ بحاجة إلى السياسة أكثر من حاجتـه إلـى إرجاعـه إلـى الله سـبحانه وتعـالى وإلـى الـدين والحـوزة ولـذلك هتـف السـيد الوالـد بأُرجوزتـه المشـهورة: (هذه هذه حوزتنا هي هي أملنا......)

سادساً: إن التدخل العلني بالسياسة هو إعلان مواجهة مع النظـام وهـو يعنـي وقـوع مجـزرة عظمـى يـذهب ضـحيتها الآلاف بل مئات الآلاف أكيداً... وهذا ما فنده السـيد الوالـد بقول: لا أريد أن أقابل ربي وفي رقبتي قطرة دم.

سابعاً: مواجهة صدام واجب كفائي وأنـتم كنـتم تـدعون مواجهتـه، ولعلـه اكتفـى بمـواجهتكم لـه، وأنـتم تواجهونـه عسكرياً وأمنياً واستخباراتياً وهو يواجهه دينياً وعقائدياً؟؟..

ثامناً: هو واجهه فـي الانتفاضـة الشـعبانية وكـذلك بـأوامر خاصة لـبعض ثقاتـه مـن خـلال إعطـائهم الإذن بقتـل بعـض الجلاوزة والبعثيين.

تاسعاً: حينما ذهب أحدكم إلى (القصر الأبيض) قال: أهم ما قمت به هناك: إنني قلت اللهم صلِّ على محمد وآل محمد...؟؟؟!! إذا كانت هذه منقبة فكيف بإقامة صلوات الجمع وهي تلك الصلاة المليونية في المحافظات أجمع والتي كانت تزعج النظام فأيَّ اتصال بالجمهور والأمة والشعب أكثر من هذا الترابط والتواصل عبر صلوات الجمعة؟

عاشراً: أي من المراجع الآخرين في النجف الأشرف تدخَّل في السياسة بالطريقة المباشرة في زمن الهدام؟؟... فإذا وجهتم هذا الإشكال للسيد الوالد فلم لم توجهوه للباقين؟؟؟... وإن كان الباقون محقين بعدم تدخلهم بالأمور السياسية آنذاك فلم تستشكلون على السيد الوالد؟؟!!..

فإن قيل: إن بقية المراجع قد فرضت عليهم الإقامة الجبرية، وأما السيد محمد الصدر لم تفرض عليه الإقامة الجبرية.. فلذلك لم يتدخلوا بالسياسة، على العكس من السيد محمد الصدر فكان عليه أن يتدخل بالسياسة.

قلنا: أولاً: قد فرضت عليه الإقامة الجبرية من حين إعدام الشهيد الأول قدس سره وإلى مدّة ثمان سنوات أو أكثر.

ثانياً: إن سبب فرض الإقامة الجبرية على المراجع حفظ الله الباقين وقدس الله سر الماضين منهم هو لمنعهم من التدخل بالسياسة أليس كذلك؟

فإن قلتم: نعم، **قلنا**: فكيف تظن أن السيد الوالد كان باستطاعته التدخل بالسياسة بصورة علنية؟.. إذا كان من هو بنظرك أحق بالمرجعية لم يستطع التدخل بالسياسة ولم يقدر على كسر الإقامة الجبرية فالأولى بالسيد الوالد أن يتجنب التدخُّل بالسياسة بصورة مباشرة.

ثالثاً: إن بعض المراجع قد خرجوا من العراق لأمور العلاج، فلِمَ رجعوا؟؟.. إن كانوا تحت الإقامة الجبرية؟؟؟

رابعاً: إن إعلان التدخل بالسياسة قد يحتاج إلى دعم معنوي من الخارج، وأنتم كنتم تعلنون العداء له بمنشوراتكم وخطبكم، وهذا ما أضعف موقفه، فكنتم سبباً مباشراً بعدم تدخله.

خامساً: إنه كان يمهد لذلك، أعني لتدخله بالسياسة... فالظرف صعب جداً وعليه أن يتدرج لكسب الناس وازدياد شعبيته ونفوذه وسلطته لا أن يخرج من منزله من دون مقدِّمات لابساً كفنه ليعلن العصيان ولا تكون هناك استجابة. ولو أنكم ساندتموه ولم تحرضوا ضِدَّه لاستطاع ذلك.

سادساً: إن إعلان التدخُّل بالسياسة هو إعلان المعارضة العسكرية علناً والمواجهة مع النظام، وهو ما يحتاج إلى دعم مالي وإلى سلاح، ولم يكن هذا ولا ذاك متوفراً على الإطلاق...

سابعاً: إنه لو تدخل بالسياسة وأعلن المعارضة للهدام، لكنت أول من استشكل وقال: انتحر وقتل المؤمنين والشيعة في العراق وأضعفهم ومكن البعث منهم ولو أنه حافظ عليهم لكان أولى له وأفضل...

بل ولو أنه فعل ذلك لقلتم حرام ولا يجوز الوقوف معه، فلعله متفق مع النظام على قتل الشعب وما إلى ذلك..

ألم يقف في الصحن الحيدري خاطباً في الانتفاضة الشعبانية ولم تساندوه بعد إعلانه الجهاد، ووعدتم الآخرين بإرسال الدبابات والأسلحة ولم تفوا بذلك؟؟!!..

ثامناً: ولو أنكم صبرتم حتى يعلن ذلك ويجابه النظام لكان خيراً لكم... لكنكم كنتم تريدون زواله وقد زال عن الساحة العراقية إلا أن محبوه وأتباعه لا زالوا كعصاً في عجلة تقدّمكم... وهذا ما يزعجكم.

بعد كل ذلك، وتدعي أنه يعطل الجهاد ضِدَّ الظالم؟؟.. فأين دليلك أيها المؤلف؟؟

أما دليلنا على بطلان قولك، فللأدلة التالية:

أولاً: إنه تلميذ السيد الشهيد الأول قدس سره والسائر على نهجه والمُعلّي شأنه.

ثانياً: إنه المعتقل من النظام البعثي مرتين: الأولى: عام ١٩٧٤.. والثانية: عام ١٩٩١ بعد الانتفاضة الشعبانية وإعلانه الجهاد بصورة علنية في الصحن الحيدري الشريف.

ثالثاً: إنه لابس الكفن، وهو إعلان جهاد وإعلان تضحية بالنفس. كما لا يخفى.

رابعاً: إنه هو الذي نزع الخوف من قلوب الشعب العراقي، وصاروا يواجهون الظلم ويعلنون المحبة والولاء لأهل البيت وحوزتهم بصورة علنية بعد أن كانت الصلاة ممنوعة.

خامساً: إذا كان الجهاد داخل العراق ممكناً فلماذا هربتم، ولم تبقوا لتجاهدوا من الداخل؟!

سادساً: سلوا بعض قيادات (بدر) رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين منهم ممن تواصلوا معه وسيخبروكم عن روحه الجهادية.

سابعاً: إنه القائل: (ففي هذه القرون المتأخرة يوجد ما أستطيع أن أسميه بالثالوث المشئوم الظالم الغاشم وهو الاستعمار الأمريكي البريطاني الإسرائيلي الظالم الغاشم الشرير المبتز لحقوق البشرية ولدمائها. في الحقيقة هذا هو الذي يكون سبباً لمثل هذه المظالم وغير هذه المظالم.

وهذا الشيء ينبغي أن يكون واضحاً، مهما كانت اليد التي قبضت على السكينة فإنها ترجع بالآخر إلى ذاك)[1].

ثم إنهم لم يكتفوا بالتشكيك في روحه الجهادية، فسارعوا إلى التشكيك في علمه وأعلميته، فقالوا: (كان مُجداً في دراسته ولكنه ضعيف نسبياً على مستوى التلقِّي)، وقالوا فيه: (إنه إنسان ساذج).

أما الإشكال الأول، أعني: (كان مجداً في دراسته ولكنه ضعيف نسبياً على مستوى التلقي): فإن دل على شيء إنما يدل على مخالفتهم لمرجعهم السيد الشهيد الأول قدس سره: حينما ذكر في مقدِّمة الموسوعة ما يلي: (وسأقتصر على هذا الموجز من الأفكار تاركاً التوسع فيها وما يرتبط بها من تفاصيل إلى الكتاب القيّم الذي أمامنا، فإننا بين يدي موسوعة جليلة في الإمام المهدي عليه السلام وضعها أحد أولادنا وتلامذتنا الأعزاء وهو العلامة البحاثة السيد محمد الصدر - حفظه الله تعالى - هي موسوعة لم يسبق لها نظير في تأريخ التصنيف الشيعي حول المهدي عليه السلام في إحاطتها

(١) خطب الجمعة، الجمعة الحادية عشر الخطبة الأولى ص١٣٧.

وشمولها لقضية الإمام المنتظر من كل جوانبها، وفيها من سعة الأفق وطول النفس العلمي واستيعاب الكثير من النكات واللفتات ما يعبر عن الجهود الجليلة التي بذلها المؤلف في إنجاز هذه الموسوعة الفريدة. وإني لأحس بالسعادة وأنا أشعر بما تملأه هذه الموسوعة من فراغ وما تعبر عنه من فضل ونباهة وألمعية وأسال المولى- سبحانه وتعالى - أن يقر عيني به ويريني فيه علماً من أعلام الدين. والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

وقد وقع الابتداء في كتابة هذه الوريقات في اليوم الثالث عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٩٧ هـ ووقع الفراغ منها عصر اليوم السابع عشر من الشهر نفسه. والله ولي التوفيق).

ولا ننسى ما اشتهر من أنه قدس سره: كان يسمع الدرس باللغة الفارسية ويكتبه بالمباشر باللغة العربية... فهل من يفعل ذلك ضعيف التلقّي؟؟...

وما مؤلفاته كـ(ما وراء الفقه) وجعل الرسالة العملية خمسة أجزاء بعد أن جعلها جل الفقهاء من جزئين إلا دليلاً على قوة تلقيه وتشقيقه[1]، مع قلّة ما يملك من مصادر لأن أغلبها بل جلها كان ممنوعاً، وبعد أن سلبت الحكومة العراقية مكتبته في الثمانينيات.

بل إن المؤلف وأمثاله أعرف به وبذكائه منذ الصغر، فقد كان يشار إلى فطنته وأخلاقه منذ نعومة أظفاره كما يعبرون... ولعله كان واحداً ممن يشيرون إليه ويحسدوه على ذلك والله العالم.

أما الجواب على كونه ساذجاً وغير قادر على إدارة الوضع والمرجعية، فجوابه كما يلي:

أولاً: إن من كسب حب مئات الآلاف من العراقيين إن لم نقل الملايين، لا يمكن أن يكون ساذجاً.

(١) شقَّق الكَلامَ : وسَّعه وبيَّنه وولّد بعضَه من بعض، أخرجه أحسن مخرج.

ثانياً: إن في قولك هذا تعدٍّ على الشعب العراقي الذين أحبوه وأطاعوه، فكيف بشعب واع يتبع (ساذجاً)... فإن قلت إن الشعب غير واع فهذا تعد واضح.

ثالثاً: أنت وأمثالك تعتبر الأخلاق والتواضع سذاجة كما هو الواضح من تفكيرك وفكرتك وقولك هذا...

فإن قلت: إن أكبر دليل على سذاجته، هو تصديه للمرجعية في زمن الهدام غير آبه ولا ملاحظ للصعوبات والمخاطر.

قلنا: إن كان التصدي للمرجعية في زمن الهدام بنظرك (سذاجة) فكيف تريد به أن يعلن الجهاد المسلح ضِدَّ الهدام؟؟؟... فأيهم أكثر صعوبة وأكثر سذاجة؟؟!..

إذن، فتفكيرك الساذج أدى بك إلى كيل التُّهم جزافاً ضِدَّ السيد الوالد قدس سره ولأنك وأمثالك بعيدون كل البعد عن حاجات الشعب ومتطلباته وظروفه وتجهلون كل الجهل بمصالحه ومفاسده وخصوصاً أنكم بعيدون خارجون عن عراقكم الذي تريدون أن يكون الآخرون

ضحية لكم ولنفوذكم وحكمكم.. فالشرفاء يجاهدون والجبناء يحكمون؟!!.. أهذه نظريتكم؟!..

نعم، كنتم تتوقعون أنه يعلن الجهاد ضِدَّ الهدام كما أعلنها الشهيد الأول قدس سره لكي تتربعوا أنتم من بعده على العرش... وتنسونه ولا تدعون له ولنهجه العظيم...

ولقد نسيتم إن كان الشهيد الأول جسد دور الحسين فإن الشهيد الثاني جسد دور الإمام الحسن والحسين معاً... وعذراً.. إلا أنها الحقيقة، فقد جسد دور الإمام الحسن بنشره للدين من دون إراقة الدماء وقد جسد دور الإمام الحسين في الانتفاضة الشعبانية، حينما أراد الشعب ذلك وحينما لمس من الشعب ثورة وانتفاضة ضِدَّ الظلم وحينما رأى أن الشعب سيقمع وأن دين الله والمذهب في خطر استطاع أن يجمع الحوزة والمؤمنين على طاعة الله وحفظ الدين والمذهب، وهو القائل: (وشيء آخر رئيسي وهو أن تحافظوا على دينكم ومذهبكم ولا تَدعوا هذا الزرع الذي حصدتموه بفضل الله سبحانه وتعالى أن يضيع وأن يجف. لا، حافظوا عليه. طبعاً إن شاء الله أن الشجاعة موجودة

والوعي موجود والدين بذمتكم والمذهب بذمتكم لا ينبغي التفريط فيه لا بقليل ولا بكثير. أنا لست مهماً بوجهي ولا بيدي ولا بعيني وإنما الشيء المهم هو دين الله ومذهب أمير المؤمنين عليه السلام)[1]. وهو القائل استمروا على صلاة الجمعة وإن مات السيد محمد الصدر بعد أن رأى إقبالاً كبيراً على الجمعة وحضورها وقد نفعت المجتمع وانتشلته من الضلالة إلى الهداية.

كل هذه الإشكالات والتُّهم التي توجه جزافاً ضِدَّ السيد الوالد قدس سره تُفَعَّل هذه الأيام ويتداول نشرها في مواقع التواصل الاجتماعي وعبر من كنّا نحسن الظن بهم وهناك من يتعاطف معها ويدافع عن المسيئين مع شديد الأسف.

كل ذلك ليخرجوا حقدهم الدفين ضِدَّه وضدنا ولكي نَأمُر بالسكوت لكي لا تكون فتنة ثم يكون السكوت منحى للجميع فيعتدوا مرات ومرات، كما فعل أعداء الدين بالاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

(١) خطب الجمعة، الجمعة الرابعة والعشرون الخطبة الأولى ص٢٩٨.

وصحبه المنتجبين الأخيار فكانت الردود شديدة من المسلمين وما أن تعودوا ذلك فكانت ردودهم خجولة... إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكن الله لهم بالمرصاد ولكل من اعتدى على الأنبياء والرسل والأولياء والمعصومين والصالحين والمراجع العظام بغير حق ولا حجة.

وخصوصاً إننا نعلم أنه لولا مرجعية السيد الوالد قدس سره لما رجع الشعب العراقي إلى طاعة الله ولاتَّبَع الكثيرون منهم أناس غير أكفاء لا يريدون بالعراق خيراً..

وآخر دعوانا آن الحمد لله ربّ العالمين...

مقتدى محمد الصدر

٥ جمادى الأولى ١٤٣٩